

بايزيد الانصارى

(٣)

للدكتور مير ولى خان المسعودى

الدعوة الروشانية

١- اثرها الدينى و الاجتماعى :

بدأ بايزيد الانصارى دعوته باصلاح النفس و ترويضها ، زهد فى الدنيا و رغب عن لذاتها ، و اشتغل بالعبادة و الذكر الخفى . رأى ان احسن الطريق الى ترويض النفس هو قلة الاكل والنوم و الابتعاد عن الناس فشرع يأكل قليلا و ينام قليلا و يعتزل الناس . سمع من العلماء ان الانسان لا يصل الى معرفة ذات الحق الا عن طريق المرشد الكامل فبدأ البحث عنه و لكنه لم يوفق . استمر بايزيد الانصارى فى ترويض النفس و اصلاحها يسهر الليالى فى الصلاة و الذكر الخفى و يصوم بالنهار معتكفا فى بيته .

رأى بايزيد الانصارى ان الفساد و النفاق و الخداع يعم فى المجتمع حوله و ان العقائد الباطلة و التقاليد الفاسدة قد فاشت فى الدهماء الذين يعمهم الجهل و الغرور و ان تلك العقائد قد رسخت فى عقول هولاء الناس الذين انصرفوا الى الدنيا و تركوا الدين و القيام بأموره . بل انهم لا يقومون بامور الدين الا رسما و عادة . رأى بايزيد الانصارى لزاماً عليه كأى مسلم ان يقوم بدعوة الناس الى التوحيد و هدايتهم الى معرفة ذات الله تعالى و ان ينقذهم من الضلال و التقاليد الفاسدة و ان يهديهم الى طريق الصواب . فالذين استجابو لدعوته صلحوا و زهدوا فى الدنيا و انصرفوا الى العبادة و الذكر الخفى

و تركوا التقاليد الفاسدة و العقائد الباطلة .

فكانت دعوته اصلاحا دينيا و تهديبا خلقيا . و كان ارشاده هذا خدمة دينية كبيرة استفاد منه الخواص و العوام فائدة جمّة و قد تركت دعوته الدينية آثارا حسنة في المجتمع از صرفت الناس من حب الدنيا و الانهاك في امورها الى التوحيد و معرفة ذات الله تعالى بالقلب و الروح معا . اعلان بايزيد الانصارى في الناس ان العبادة الظاهرية لا تكفى اذا لم يتصل بها تزكية الجسد و تصفية القلب و تنقية الروح و وضع لتزكية الجسد و تصفية الروح و تنقية الروح خطوات ثمانية التي يجب على السالك ان يحصل عليها حتى يصل الى الوحدة الحقيقية و يستقر في سكونة الله تعالى التي لا تفنى ولا تزول بل هي أبدية ازلية لا يتخللها التغير و التبدل .

اننا نرى اثر دعوة بايزيد الانصارى واضحا جليا في اتباعه من الرجال و النساء سواء كانوا في مدينة "كافى كرم" او في منطقة "دور" او في منطقة "بشاور" او غيرها اذ كانوا جميعا صلحاء ورعين زاهدين في الدنيا راغبين عن لذاتها مستغرقين في حب الله تعالى .

٢- أثرها الثقافي :

لم يكن أثر الدعوة الروشائية الثقافي أقل من أثرها الديني ، ذلك ان بايزيد الانصارى يعتبر موجد النثر في اللغة البختونية و واضع رسم الخط البختوني الحاضر . لا يوجد في اللغة البختونية نثر منظم في شكل كتاب كامل قبله و ان كتابه "خير البيان" هو اول كتاب منشور وصل الينا و منه بدأ النثر في اللغة البختونية الى جانب ان بايزيد الانصارى وضع رسم الحروف المهجائية للغة البختونية في كتابه "خير البيان" و قد ذكر صاحب "حالنامة" انه يوجد اشعار

و مؤلفات كثيرة لبايزيد الانصارى باللغة الافغانية^١ و لكننا لم نعثر على أشعاره و مؤلفاته سوى "خيرالبيان" و "مقصود المؤمنين" و "صراط التوحيد" ولا يبعد ان مؤلفات بايزيد الانصارى التي لم تصل اليها قد ضاعت لان اعداءه - و على رأسهم اخوند درويزه - قد امروا الناس باحراق جميع مؤلفات بايزيد الانصارى .

لذلك نقدر ان نقول ان بايزيد الانصارى هو الذى أثار في الناس و خاصة في الطبقة المتعلمة الشعور العلمى و ايقظ فيهم نزعة التأليف والتدوين في اللغة البختونية الى جانب انه نسبهم الى التفكير فى الكون و خالقه و هداهم الى التوحيد و المعرفة الحقة .

و من الطبيعى انه كلما ترقى الامة فى الثقافة كلما تطورت فى حياتها الاجتماعية و كلما تقدمت فى الاخذ من الثقافات المختلفة كلما تهذبت عقول افرادها و لانت طبائع ابنائها . و نرى هذه الظاهرة واضحة جلية فى الامة العربية بعد اتصالها بالرومان والفرس و خاصة فى العهد الثانى من العصر العباسى . نرى هذه الامة انها تحولت من البداوة الخشنة الى المدنية اللينة . واستبدلت طبيعتها الجافة بالطبيعة الممهذبة . و تحولت حياتها البدوية الى الحياة الحضرية .

و من ثم لم تكن نهضة بايزيد الانصارى نهضة دينية اجتماعية بحثة بل انها كانت الى جانب ذلك نهضة ثقافية ايضا . و قد اتفق الكتاب على ان الموسيقى الافغانية قد ترقى و تحسنت بيد بايزيد الانصارى و اولاده و انصاره فيما بعد بل انهم ادخلوا فيها اصلاحات رئيسية و بنودا جديدة التي لم تكن موجودة فى الموسيقى الافغانية من قبل .

و فوق هذا و ذاك فان بايزيد الانصارى قد ألقى فى الامة البختونية عزة النفس و ايقظ فيها فكرة الحرية و نفخ فيها قوة الارادة

١- راجع التفصيل فى حالنامة ، ص ٢٧٨ .

وقاد أبناء الأمة البختونية خاصة و المسلمين عامة الى التفكير و التأمل فى الكون و خالقه و هداهم الى التوحيد و المعرفة . ان بايزيد الانصارى جعل قوام الحياة الانسانية الذكر و الفكر فى ذات الله تعالى و رأى أن افضل الناس هو الذى يقرب بين الله و عباده و الذى يحسن الى الناس و يتجنب الاساءة اليهم لذلك نراه يرسل الملوك و الامراء دون اى خوف و اضطراب يدعوهم الى التوحيد و المعرفة و يطالبهم بترك حب الدنيا و الانهاك فى لذاتها .

و أهم من هذا كله هو انه أنقذ المجتمع الذى عاش فيه بايزيد الانصارى من سيطرة القضاة و مشايخ الطرق و العلماء الذين كان لهم نفوذ كبير على الناس الذين كانوا يأخذون اموال العامة بحيل شتى . رفع بايزيد الانصارى الستار عن خدعة هؤلاء القضاة و مشايخ الطرق و العلماء و أظهر للعامة حيلهم و مكايدهم و نصح الناس بان لا يتعوا فى حبالهم و حذرهم منهم .

٣- اثرها السياسى :

كانت الدعوة الروشانيه دينية محضة و لكنها أصبحت سياسية اكثر من كونها دينية بعد وفاة بايزيد الانصارى و خاصة فى عهد جلال الدين بن بايزيد الانصارى . ولا غرابة فى هذا فان اغلب الفرق الدينية فى الاسلام كانت دينية بحتة فى البداية ثم أصبحت سياسية محضة فى النهاية .

لم يكن بايزيد الانصارى يريد التسلق الى عرش الملك ولا قيادة القبائل التى استجابت لدعوته و الا لما اختار هذا الطريق الشاق المعوج . ولم يخطرله هذه الفكرة قط . و الحق انه كان رجلا مصاحبا تقيا ورعا طلب الحق و كانت له رغبة شديدة فى ان يظفر بمعرفة الله تعالى . و أحب ان يجد سبيلا لمعرفة ذاته تعالى و خطر له ان ذلك لا يحصل الا بتزكية الجسد و رياضة النفس و تصفية القلب و تنقية

الروح ، فاتبع هذا المنهج و حمل في سبيله متاعب شاقة . اجهد نفسه اثناء قيامه بهذه الرياضة النفسية ثم جعل نفسه هدفا للتهمة الفاتكة عند ما قام بدعوة الناس الى التوحيد و ترك الشرك الخفى في مدينة "كافى كرم" التي ترعرع في أحضانها . عرض عليه أبوه نصف ثروته على ان يكف عن دعوته تلك و اتهمه الناس بالشرك الخفى و لكن بايزيد الانصارى ما كان يرغب في الدنيا و متاعها و انما كان يريد نشر دعوته و هداية الناس الى طريق الصواب و ارشادهم الى معرفة ذات الحق صابرا مطمئنا بما قدر الله له . لذلك لم يقبل من ابيه الال بدل دعوته الدينية كما لم يكف من تشدده مع الناس في ترك الشرك الخفى .

بينما كان بايزيد الانصارى في مدينة "كافى كرم" وجد معارضة شديدة من مشايخ الطرق والعلماء و القضاة الذين كانوا يحسبون انفسهم صلحاء اتقياء مستجابى الدعاء و الذين كانوا يستغلون العامة بعلمهم و زهدهم و تقواهم . و لما هاجر الى منطقة "دور" وجد من مشايخ الطرق و العلماء و القضاة نفس المعارضة حتى انهم تأمروا على قتله و اهلاكه . ولم تكن معارضة القضاة و العلماء و مشايخ الطرق الذين تعودوا الى يومنا هذا ان يعيشوا على أموال أتباعهم و الذين يستغلونهم لاغراضهم الخاصة . في وادى بشاور أقل من معارضة القضاة و العلماء و مشايخ الطرق في مدينة "كافى كرم" و منطقة "دور" .

كانت نتيجة هذه المعارضة لدعوة بايزيد الانصارى ان ميرزا حكيم الحاكم العام لكابل و بشاور كاف حاكم بشاور "معصوم خان" باحضاره الى كابل و لما تمثل بايزيد امام ميرزا حكيم اكرمه ثم سلمه الى قاضى خان للمناظرة و المباحثة الدينية و بعد المناظرة مع قاضى خان التي اثبت فيها بايزيد الانصارى نفسه بريئا من التهمة التي وجهت اليه من قبل خصومه عرض عليه ميرزا حكيم البقاء لديه ولكن بايزيد الانصارى رفض هذا العرض بحجة ان رجال القبائل

في حاجة ماسة الى من يرشدهم الى طريق الصواب ويهديهم الى التوحيد و المعرفة اذ يقل فيهم العلم و التهذيب و انه يرى من الواجب عليه القيام بهدايتهم الى التوحيد و ارشادهم الى معرفة ذاته تعالى فأذن له ميرزا حكيم بالمغادرة و جاء الى بشاور حيث وقف نفسه للعبادة و الذكر الخفي و هداية الناس الى التوحيد و المعرفة الحققة .

وقد ظهر مما سبق ان بايزيد الانصارى لم يقبل من الملوك و الامراء في سبيل دعوته اى منصب و لم يرغب قط في الجاه و الهال اذ ان الملوك و الامراء استمالوه غير مرة الى انفسهم و اظهروا له استعدادهم للقيام بكل خدمة يريدونها منهم ولكن بايزيد الانصارى لم يطمع في مالهم و جاههم و يتضح ذلك كل الوضوح من رسالة الملك جلال الدين اكبر بعد ان اطلع على كتابه "صراط التوحيد" التى كتب فيها الملك انه على استعداد تام للقيام بخدمة بايزيد الانصارى و انه يعد نفسه من اتباعه . فلو كان بايزيد يريد الجاه و المنصب لذهب الى الملك جلال الدين اكبر و نال الخطوة لديه ولكن الحق ان بايزيد الانصارى زهد في الدنيا و رغب عن متاعها و مناصبها و لم تكن غايته الا هداية الناس الى التوحيد و ارشادهم الى معرفة ذاته تعالى .

و خلاصة القول ان الدعوة الروشانية كانت دينية بحتة طول حياة بايزيد الانصارى و في زمن خلافة ابنه الشيخ عمر . ولما تولى قيادة الفرقة الروشانية جلال الدين بن بايزيد الانصارى بدأت هذه الدعوة تدخل في السياسة و ارادت ان تعيش حرة لاحتكامها اية حكومة و اذا كان لابد من الحكومة فهى الاولى بالحكومة . ومن هنا بدأ الصراع بين الفرقة الروشانية و الحكومة المغولية و أخذت الفرقة الروشانية شكل فرقة سياسية تريد حكومة مستقلة لنفسها لا تخضع لاية سلطة اخرى .

دامت هذه الدعوة عدة سنين وأصبحت شوكة في جنب الحكومة المغولية حتى انها بدأت تضعف بعد قتل "احداد بن الشيخ عمر" وانقرضت نهائيا بتسليم عبدالقادر بن احداد نفسه الى الحكومة المغولية ودخوله في خدمة الحكومة المغولية ٤٠٤ هـ تقريبا .

وبذلك نقدر ان نقول ان الدعوة الروشانية أفادت الامة البختونية في نواح شتى ، أفادته في الامور الدينية والحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية . ولو لم تكن هذه الدعوة لبقيت الامة البختونية خاصة والمسلمون عامة في القارة الهندية تحت أقدام الهنادك الذين استولوا على مناصب الدولة في عهد الملك جلال الدين اكبر . ذلك ان الملك جلال الدين اكبر كان يخاف دائما من الامة الافغانية عامة ومن الفرقة الروشانية خاصة على الحكومة التي اغتصبها اجداده من الافغانيين .

مولفات بايزيد الانصارى

ذكر صاحب "حالنامة" لبايزيد الانصارى قصائد و اشعار الغزل و مقطوعات^١ ولكنها لم تصل الينا كما قال مؤلف "حالنامة" ان بايزيد الانصارى بعث بيد "خليفة يوسف" كتابه "فخر الطالبين" الى ميرزا سليمان والى بدخشان ولكننا لم نعر على هذا الكتاب ايضا . وقد وصل الينا من مؤلفاته الكتب التالية .

١- صراط التوحيد :

هذه رسالة صغيرة وجدت في شكل مخطوطة في مكتبة "مولانا فضل صمداني" مؤسس مدرسة "رفيع الاسلام" بشاور . قام بترتيبها

١- حالنامة ، ص ٢٧٨ .

محمد عبدالشكور مدير متحف بشاور و طبعها "ادارة اشاعت سرحد" بشاور في ١٩٥٢ م . تحتوى هذه الرسالة المطبوعة على مائة وست عشرة صفحة و قد انعدمت منها الصفحات الثانية الاولى .

ألف بايزيد الانصارى هذه الرسالة سنة ٧٨٩ هـ و نسخها الكاتب سنة ١١١٩ هـ . كتب بايزيد الانصارى هذه الرسالة باللغة الفارسية الى غاية الصفحة الثلاثين و كتب الباقي بالعربية و الفارسية و عبر من موضوع واحد اولاً بالعربية ثم بالفارسية . و اتبع هذه الطريقة الى آخر الكتاب .

بين بايزيد الانصارى في هذه الرسالة الى صفحة تسع و عشرين حياته الشخصية و الكيفيات التي طرأت عليه اثناء بحثه عن المعرفة و قيامه بالرياضة النفسية للحصول على التوحيد و المعرفة الحققة ثم نصح فيها المملوك و الامراء و الزعماء و طلب منهم ترك حب الدنيا و القيام برضاة النفس و المجاهدة للحصول على التوحيد و المعرفة و شرح فيها مراتب السلوك الثانية : الشريعة ، الطريقة ، الحقيقة ، المعرفة ، القرية ، الوصلة ، الوحدة ، السكونة لارتقاء الروح الانساني و اتصافه بالاصناف الربوبية .

بعث بايزيد الانصارى بنسخة من رسالة "صراط التوحيد" الى الملك جلال الدين اكبر المغولى بيد خليفة دولت المهندزى فأظهر الملك اكبر بعد مطالعته اياه اتباعه لبايزيد الانصارى و قال للخليفة انه على استعداد تام للقيام بأية خدمة للشيخ بايزيد يريدونها منه و منح للخليفة "دولت" الخلعة .

٢ - خير البيان :

عبر بايزيد الانصارى في كتابه "خير البيان" عن موضوع واحد باربع لغات : العربية الفارسية البختو والاندكو . تحتوى نسخته المطبوعة على ٣٠١ صفحة . لا يوجد سنة تأليف "خير البيان" غير انه يوجد

في الصفحة الاخيرة منه ان الكاتب "بهارتوي" مرید بايزيد الانصارى
نسخه للسيدة "عصمت بناهى بي بي خيرخاتون"^١ في سنة ١٠٦١ هـ .

وضع بايزيد الانصارى في كتابه "خير البيان" آراءه الدينية
الصوفية التي جمعت في قلبه عن طريق الرؤيا والالهام . ولما كان
بايزيد الانصارى يرى ان هذه الآراء وتلك الافكار قد ألقى الله في
قلبه من طريق الرؤيا والالهام ألف كتابه "خير البيان" بأسلوب
خطابي فيه سوال و جواب وفيه أمر من الله واستجابة منه . وارى
من الصواب ان أقدم للقارىء قطعة من كلام بايزيد في "خير البيان"
ليقرأها وليعرف أسلوب بايزيد بنفسه في كتابه "خير البيان" معرفة
المشاهدة واخترت لهذا الغرض القطعة الاولى من "خير البيان" وهي
"يا بايزيد ! اكتب على بداية الكتاب بتعظيم الحروف بسم الله اتمام
انى لا اضيع اجرالذين يكتبون ثم يخربون حرفا او نقطة ثم يكتبون
لا^٢ جل صحيح البيان"^٢ . توضيحه : "يا بايزيد ! اكتب في بداية الكتاب
بحروف واضحة صحيحة "بسم الله" كاملا . انى لا اضيع اجرالذين يكتبون
ثم يشطبون حرفا او نقطة ثم يكتبون لاجل البيان الصحيح" .

تستمر هذه اللغات الاربعة المذكورة التي عبر بها بايزيد الانصارى
عن موضوع واحد في بداية الكتاب ثم تترك اللغات الثلاثة وتبقى
اللغة البختونية فقط الى آخرالكتاب غير ان اللغة العربية توجد بالكثرة
الى آخر الكتاب .

ورأى مولانا عبدالقدوس ان الكاتب هو الذى ترك اللغات
الثلاثة لأن مقصوده قد حصل باللغة البختونية^٣ وقول مولانا عبدالقدوس

١- لم اجد ذكرها في الكتب المتعاقبة بالاسرة الروشانية والظاهر انها
كانت من اسرة بايزيد الانصارى .

٢- انظر خير البيان المطبوع ، ص ١ .

٣- راجع مقدمة خير البيان لمولانا عبدالقدوس ، ص ٥٨ .

لا يخلو من الركاكة لأن الكاتب لو ترك اللغات الثلاثة—لأن مقصوده قد حصل باللغة البختونية—لما أتى في أول الكتاب بهذه اللغات الأربعة . والظاهر أن بايزيد الأنصاري قد عبر عن موضوع واحد بأربع لغات في بداية الكتاب لعموم الفائدة ثم ترك اللغات الثلاثة بسبب ما . كما أنه عبر في كتابه "صراط التوحيد" عن آرائه باللغة الفارسية إلى غاية صفحة ثلاثين ثم باللغتين : الفارسية والعربية معا إلى آخر الكتاب .

اختفى "خير البيان" من صفحة الظهور بعد اضمحلال الفرقة الروشائية و غاب عن نظر العامة بعد أن تبددت الأسرة الروشائية في القارة الهندية و المناطق الجبلية من باكستان الغربية . وكان العامل القوي في اختفاء خير البيان و مؤلفات بايزيد الأخرى هو دعاية ملا اخوند درويزه ضد بايزيد الأنصاري بأنه مضل و ملحد و كافر و قد حرض اخوند درويزه الناس على احراق جميع مؤلفات بايزيد الأنصاري لاحتوائها على الضلال والالحاد والكفر في زعمه . فظل "خير البيان" مختفيا في المكاتب المجهولة لم يعرف من وجوده شيء غير أنه جاء ذكره في "تذكرة الأبرار و الأشرار" و في "ديستان المذاهب" كما ذكره بعض الكتاب الآخرين أيضا وبقى مجهولا معدوما ولم يظهر للعامة إلى أن وجده مولانا "عبدالقادر" مدير "دائرة المعارف البختونية" بجامعة بشاور في مكتبة "تيونكن" بألمانيا الغربية عام ١٩٥٩م بعد جهود جبارة حملها في سبيل البحث عنه في مكاتب أوربا . أتى مولانا عبدالقادر من هذه المخطوطة بصورة فوتوغرافية و قام بتنقيح تلك المخطوطة مولانا عبدالقدوس و طبعها مطبعة "خير" سنة ١٩٦٧م .

و بذلك أضاف مولانا عبدالقادر إلى اللغة البختونية ثروة لا تقدر لها قيمة لأن كتاب "خير البيان" هو أول كتاب منشور باللغة البختونية و وصل إلينا إلى جانب أنه نموذج قديم لنز لغة "اندكو" و "اردو"

و "الفارسية" في هذه المنطقة .

شرح بايزيد في كتابه "خير البيان" الى الصفحة ١٨٨ المسائل الفقهية ثم بين فيه مراتب السلوك الصوفي وهي : الشريعة و الطريقة و الحقيقة و المعرفة و الوصلة و القرية و الوحدة و السكونة .

ان كتاب "خير البيان" يعتبر من اهم كتب بايزيد الانصارى حيث قال بايزيد نفسه : "انى وضعت في "خيرالبيان" جميع ما ألقى في قلبي عن طريق الرؤيا والالهام من الله تعالى ولم أبخل فيه"^١ .

٣- حالنامه :

هذه مخطوطة بين فيها بايزيد الانصارى حياته باللغة الفارسية ثم رتبها وأضاف فيها مريده الخاص "على مجد بن ابى بكر القندهارى"^٢ في عهد الملك "جهانكير المغولى" (١٦٠٥-١٦٢٧ م) . توجد هذه المخطوطة في مكتبة جامعة "على گڑھ" تحت رقم ٣٧-٩٢ . حصلت جامعة بنجاب منها بصورة ثم اخذت من هذه الصورة "دائرةالمعارف البختونية" صورة اخرى التى استعنت بها في هذا البحث وتحتوى هذه الصورة الاخيرة على ٤٨٤ صفحة مطبوعة بالآلة الكاتبة .

قال مرتب "حالنامه" بعد الحمد والصلاة على النبى عليه السلام :

١- انظر حالنامه .

٢- لزم ابوبكر والد على مجد منذ صباه خدمة جلال الدين بن بايزيد الانصارى ثم عينه احداد بن الشيخ عمر قائد المنظمة الروشانية ضد المغول ولم يدخل رشيد خان في خدمة المغول رافقه ابوبكر الى الهند ثم بقى ابنه على مجد مصحح "حالنامه" في خدمة رشيد خان في حيدر آباد دكن و اختار الاقامة اخيرا في رشيد آباد بقرب شمس آباد بضواحي "آگره" (حالنامه) - مآثر الامراء ، ج ٢ ص ١٥٠ "جالندهر گزٹ" ص ٩٩ .

يقول الفقير الحقير "علي محمد بن ابي بكر القندهارى" مرید و خادم اسرة بايزيد الانصارى : ان بعض الاحباء الذين وجبت على استجابة طلبهم قالوا لى ان عبارة كتاب "حالنامه" لبايزيد الانصارى قد تغيرت و تبدلت بمرور الزمن وان صحتها قد سقمت بسبب غفلة الكتبة على انه لم يسجل فيه حياة اولاد بايزيد و حروبه ضد المغول و تنقلاته من بشاور الى كابل و تيراه و غيرها من البلدان . ولا يصعب على ملكتك الحادة التى هى مفتاح الابواب المغلقة و كاشفة الاسرار المخفية و على فكرك العميق ان تطبق كل ما غاب من هذه النسخة و تصححه . وقد استجبت الى رغبتهم هذه وعزمهم ذاك راجيا التوفيق من الله تعالى وما توفيقى الا بالله العلى العظيم وهو حسبي و نعم الوكيل .

وكل ما رأيت فى الكتاب و سمعت من النساخ كتبت ببساطة خال من التكلف والزخارف اللفظية لتكون معانيه ومقاصده واضحة على المبتدئين وعلى طلاب العلم . وليكون ثوابه للنائل والله عنده حسن الثواب .

ثم قال مرتب "حالنامه" فى موضع آخر : "لقد انتهيت من تكميل هذا الكتاب عند ما جلس الملك "اورنگ زيب" على عرش الخلافة (١٦٥٨-١٧٠٧ م) .

ان كتاب "حالنامه" وان اشتمل على طول غير ضرورى و على كلام فيه مبالغة الى حد ما فانه سهل واضح جلى للدعوة الروشائية و امرأة صافية لحياة بايزيد الانصارى و اولاده بل هو لسان صادق للدعوة الروشائية من اولها الى آخرها غير انه لا توجد فيه تواريج الوقائع والحوادث مضبوطة . على كل فان كتاب "حالنامه" هو اوثق الكتب التى تناولت بالبحث عن حياة بايزيد ودعوته وآرائه الصوفية .

٤- فخر الطالبين :

هذا كتاب من تأليفات بايزيد الانصارى لم يوجد حتى الان غير انه قد جاء ذكره في "حالنامه" وهو ان بايزيد الانصارى قد بعث هذا الكتاب بيد "خليفة يوسف" الى مرزا سليمان والى بدخشان^١.

٥- مقصود المؤمنين :

لايستطيع الباحث ان يرتب مصنفات بايزيد الانصارى ترتيبا تاريخيا حتى يستطيع ان يحكم بحق على تطور تفكيره واتجاهاته ولكنه يظهر للقارى بعد مطالعة كتبه انه الف اولا كتاب "صراط التوحيد" ثم قام بتأليف كتابه "خير البيان" وانه كتب في ايامه الاخيرة كتابنا "مقصود المؤمنين" ذلك ان بايزيد الانصارى ذكر في "صراط التوحيد" انه أشير عليه عن طريق الرؤيا والالهام خلال السنوات الاحدى والعشرين التى قضاهها فى طلب الحق وعبادة الله تعالى والذكر الخفى والتفكير فى الكون وخالقه بان يكتب رسالة الى الملوك والامراء او يرسل اليهم خليفة لينشر دعوة التوحيد فى ملكهم ويدعوهم الى معرفة الحق . فخطب الملوك والامراء فى هذه الرسالة وقال : "ايها الملوك والامراء عليكم ان تقرأوا هذه الرسالة وان تعملوا بها ليثبت اثرها فى قلوبكم"^٢.

فاذا كانت هذه الرسالة التى امر بايزيد الانصارى بكتابتها الى الملوك والامراء اول فكرة القيت فى قلبه عن طريق الرؤيا والالهام فثبت انه قام بتأليف "صراط التوحيد" بعد خروجه من الاعتكاف فى مدينة "كانى كرم" ودعوته الناس الى التوحيد والمعرفة .

١- راجع حالنامه ، ص ٢٨٥ .

٢- راجع صراط التوحيد ، ص ٢٩-٣٠ .

اما كتاب "خير البيان" فيبدو لي انه كتبه بعد "صراط التوحيد" واما كتاب "مقصود المؤمنين" فالراجح انه قام بتأليفه في اواخر حياته . لانه يقول في الصفحة الاولى منه : "قال أصغر و أعجز و أضعف من أمة محمد صلى الله عليه وسلم بايزيد الانصارى رحمة الله بن عبدالله القاضى : قال لى ابني الشيخ عمر رضى الله عنه ان كان رضاك اكتب لاجل ابنائك و اهل عيالك من آيات القرآن و احاديث الانبياء و اقوال الاولياء نصيحة ثم اجبت قوله و اريد ان اكتبه مفصلا بمقدار علمي و ادراكي بالعناية و بالمدد و بتوفيق الله تعالى في واحد و عشرين فصلا و سميتها "مقصود المؤمنين" و اكتب فيها متصلا ما وافق الاحاديث و الايات لاجل ان يقرأ او يذكر و يعمل به المومنون و المومنات^١ .

فيظهر عن هذه العبارة ان بايزيد الانصارى كتب "مقصود المؤمنين" استجابة لطلب ابنه الشيخ عمر الذي بلغ من العمر حد الرجولة و نضج عقله و خاف على والده من الموت قبل ان يترك لاولاده نصيحة . وكان بايزيد الانصارى نفسه يشعر بانه تقدم في العمر و أشرف على الموت . لذلك استجاب لطلب ابنه الشيخ عمرو كتب في كتابه "مقصود المؤمنين" كل ما وافق الآيات و الاحاديث من الامور الدينية و المسائل الفقهية والآراء الصوفية ليقرأه الناس و يستفيد به عامة الناس .

فكرة التعليق على مقصود المؤمنين

يرجع عهدي لدراسة كتاب "مقصود المؤمنين" الى ١٩٦٢ م عند ما اختارنى العالم المعروف الدكتور محمد شفيع رحمة الله كتاب "مقصود المؤمنين" لبازيد الانصارى موضوعا لدراسة الدكتوراه بجامعة بنجاب .

وكان الدكتور محمد شفيح قد حصل على مخطوطة "مقصود المؤمنين" وقرأها وهم بتنقيحها و تصحيحها كما انه كتب على بايزيد الانصارى مقالة في "دائرة المعارف الاسلامية".

قبلت دعوة الاستاذ محمد شفيح و أقبلت على قراءة كتب بايزيد الانصارى مبتدئاً بمقصود المؤمنين . فقرأته عدة مرات ولكن الله لم يفتح على بشىء فالكتاب عربى و كل لفظ فيه اذا أخذته بمفرده مفهوم المعنى و لكن المعنى الاجالى لكثير من الجمل لا يزداد مع القراءة الا تعقيدا و امعانا فى الغموض فتركت "مقصود المؤمنين" و اقبلت على كتب بايزيد الانصارى الاخرى فقرأت منها حالنامه و صراط التوحيد و "خير البيان" كما درست قدرا كبيرا من كتب التصوف منها "طبقات الصوفية لابي عبد الرحمن السلمى" و "نصوص الحكم" لابن عربى و "الرسالة القشيرية" للإمام ابى القاسم عبدالكريم النيسابورى فلما عدت الى "مقصود المؤمنين" وجدته خلاصة مركزة لأسمات آراء بايزيد الانصارى الصوفية و وضع لى لأول مرة ما كان منه مستغلقا و أصبح يسيرا على فهم ما الفيته من قبل عسيرا .

و ها نذا اقدم رسالتى للدكتورة محققة لمتن الكتاب مستخلصة من المخطوطتين فقط اذ لم اتمكن الحصول على المخطوطة الثالثة التى علمت اخيرا انها توجد فى "رضا لاثيريرى ، رامپور ، الهند" وهما :

١- مخطوطة محمد شفيح :

هذه المخطوطة ملك المرحوم الدكتور محمد شفيح عميد الكلمة المشرقية بجامعة بنجاب سابقا . تحتوى هذه المخطوطة على مائة و احدى و تسعين صفحة (١٩١ صفحة) فى حجم متوسط و فى كل صفحة منها اثنا عشر سطراً بخط واضح . وقد اخذت منها صورة فوتوغرافية و جعلتها أساسا لرسالتى هذه . وهى التى رمزت اليها بحرف "م"

نسخت هذه المخطوطة في سنة الف و مائتين و اربع و عشرين الهجرية (١٢٢٤ع) و شطب الناسخ اسمه لوجه ما و كتب على الصفحة الا خيرة منها : ”تمت هذه الرسالة مسمى بمقصود المومنين من تصنيف بايزيد انصارى رحمة الله عليه بدست خط عبد الضعيف راجى الى شفاعته النبي صلى الله عليه وسلم - في يوم الدين في يوم اربع و عشر من شهر ربيع الثاني تحرير يافت بقلم خود سنة ١٢٢٤هـ - اللهم اغفر لكاتبه ولمن نظر فيه آمين يا رب العالمين .

يلوح الخط في قرطاس دهر و كاتبها رميم في التراب

توجد بين سطور هذه المخطوطة ترجمة مشتتة باللغة الفارسية قام بها كاتب هذه المخطوطة غالبا . وهذه الترجمة ناقصة غير صحيحة في بعض المواضع . لا يستطيع القارى ان ياخذ منها المفهوم الصحيح دون الرجوع الى اصل الكتاب لذلك تركتها ولم اثبتها في هذه الرسالة لعدم الفائدة تجنبا الاستطالة غير الضرورية .

٢- مخطوطة ”مكتبة آصفية“ :

هذه المخطوطة محفوظة في ”مكتبة آصفية“ بحيدر آباد دكن الهند تحت رقم - ٨١٩ ق ٢٢١ في حجم متوسط و في كل صفحة منها تسعة اسطر ، نسخها سعيد بن ابي بكر بن رويج بن على في ١٢٢٥هـ و قد رمزت اليها بحرف ”ح“ . اطلعت على هذه المخطوطة اثناء رحلتى العلمية الى حيدر آباد دكن عام ١٩٦٥م . تحتوى هذه المخطوطة على ثلاثمائة و تسع و اربعين صفحة (٣٤٩) -

توجد بعد اتمام كتاب ”مقصود المومنين“ في هذه المخطوطة ثلاثمائة وست و اربعون صفحة اخرى (٣٤٩ صفحة) تحتوى على موضوعات مختلفة وهي فيما ارى من اضافة الكاتب اذ لا علاقة لها باصل الكتاب و لذلك تركت البحث عنها . و توجد في اول هذه

المخطوطة أربع صفحات ونصف صفحة زائدة عن مخطوطة "م". ولما كانت مخطوطة "م" هي التي اتخذتها اساسا لرسالتى هذه — لانها نسخت قبل مخطوطة "ح" بسنة — اهملت الصفحات الاربعة والنصف الزائدة فى مخطوطة "ح" وجعلت بداية البحث من اول صفحة مخطوطة "م". وكتب على الصفحة الاخير من هذه المخطوطة : "ح" "وكان الفراغ من نسخته لعله بيوم الجمعة وخمس عشر خلت من شهر رجب الصب فى ١٢٢٥ وذلك على الفقير راجى عفواربه من الذنوب والتقصير سعيد بن ابى بكر بن رويح بن على يا مخير غفر الله له ولجميع آمين ثم آمين".

تحليل لكتاب مقصود المؤمنين

مقصود المؤمنين كتاب فى التصوف والسلوك الصوفى . وغاية المؤلف هو علم التوحيد ومعرفة ذات الحق والاتصاف بالاصناف الربوبية .

١- الوعظ والنصيحة ومنفعتهما :

أكد بايزيد الانصارى ان الوعظ ضرورى وانه يجب على طالب الحق ان يستجيب للواعظ الذى يقرب بين الله وعبده والذى يكون وعظه موافقا للقرآن والحديث . والشيخ الكامل فى نظره هو الذى يهدى الناس الى التوحيد و يامرهم بطلب الله فقط . اما الشيخ الناقص عنده فهو الذى يضل الناس ويامرهم بطلب غير الله .

وفضيلة الانسان على المخلوقات الاخرى هى بالعلم و معرفة التوحيد . قال بايزيد : "ان الله تعالى خلق الخلائق وفضل فيهم الانسان لاجل العلم ومعرفة التوحيد . كما قال الله تعالى : "ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر و رزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير

من خلقنا تفضيلاً^١ . وفضلهم لاجل معرفة ذاته^٢ . و مقصود و عمل الشريعة والطريقة والمعرفة والقربة والوصلة والوحدة والسكونة و مقصود كل الطاعة والعبادة والزهد والرياضة هو علم التوحيد .

ورأى ان الخليفة مظهر دعوة الحق و مظهر تجليه بصفة الداعي والهادى يدعو الناس الى دار السلام وان الله هو الداعي والهادى فيه بلسانه لذلك وجب على الانسان ان يجيب داعى الله و يصدقه حتى لا يدخل فى الضلالة كقوله تعالى : ”ومن لا يجيب داعى الله فليس بمعجز فى الارض وليس له من دونه اولياء اولئك فى ضلال مبين“^٣ .

و الخلفاء عنده على ثلاثة اصناف : صنف ادنى و صنف وسط و صنف كبير . اما الصنف الادنى فهو خليفة اعضائه و الصنف الوسط هو خليفة اعضائه و اهله و عياله و الصنف الكبير هو خليفة اعضائه و اهله و عياله و الانسان الذى يكون فى حكمه و امره و هو اضافة الى الملك و السلطان العادل . وقال : ”فينبغى للخلفاء ان يطلبوا علم الظاهر و الباطن لاجل العمل حتى يدخلوا فى الاسلام الحقيقى ولا يطلبوه بغية الدنيا و المحجة لئلا يدخلوا فى الكفر“^٤ .

و التوحيد فى نظره على ثلاثة انواع وقال : ”اما توحيد العوام فهو ان يقولوا : ”الاله واحد“ بتصديق القلب بغير علم التوحيد ، و توحيد الخواص هو ان يقولوا ”الاله واحد“ بتصديق القلب مع علم التوحيد ، و توحيد الاخصاء هو ان يقولوا ”الاله واحد“ بتصديق القلب مع علم التوحيد و يكونوا ”موحدين مع الله ينبغى للعوام ان

١- بنى اسرائيل ١٧ : ٧٠ .

٢- مقصود المومنين ، ص ٩ .

٣- الاحقاف ٤٦ : ٣٢ .

٤- مقصود المومنين ص ١٤ .

يحصلوا على توحيد الخواص و ينبغى للخواص ان يحصلوا على توحيد
لاخصاء و ان يعلموه الى اهلهم حتى لا يصيروا خاسرين و جاهلين^١.
و رأى ان الوعظ بالقرآن او بما بواقفه فيه كفاية للنفس و للغير كقوله
تعالى : ” هذا ذكر من معى و ذكر من قبلى بل اكثرهم لا يعلمون
الحق فهم معرضون^٢ “. و رأى ان افضل الوعظ هو دعوة الناس الى
المعرفة و هدايتهم الى العمل الحسن كقوله تعالى : ” و من احسن
قولا ممن دعا الى الله و عمل صالحاً^٣ “. ”

٢- العقل و نوره و درجاته :

رأى بايزيد ان مصدر كل كرامة هو العقل و هو نور فى القلب
يفرق به الانسان بين الحق و الباطل و ان فضيلة الانسان على الانعام
و الملائكة هى بالعقل وقال : ” يا بنى ان الله تعالى خلق الملائكة
مع العقل بلا هوى النفس و خلق الانسان مع العقل و مع هوى
النفس و خلق الانعام بلا عقل و مع هوى النفس فكل انسان ان
عمل بمتابعة العقل و بمخالفة هوى النفس فهو افضل من الانعام
و الملائكة^٤ “. ”

قسم بايزيد الانصارى العقل الى اربعة انواع وهى : عقل
الجاهل و عقل الخاسر و عقل الناقص و عقل الكامل . فعقل الجاهل
عنده هو عقل النفس الذى ينشأ عنه محبة الدنيا و الاشتغال بامورها
و يصير المطيع له جاهلاً و يدخل بعد الموت فى عذاب الظلمة ، و عقل
الخاسر هو عقل الشيطان الذى ينشأ عنه عام يمرض الانسان و يقوده

١- مقصود المومنين ص ١٦ — ١٧ .

٢- الانبياء ٢١ : ٢٤ .

٣- السجدة ٤١ : ٣٣ .

٤- مقصود المومنين ، ص ٢٤ .

الى اعمال الشر و الخسران و يصير باطاعة هذا العقل خاسراً و يدخل بعد الموت في عذاب النيران و عقل الناقص هو عقل القلب الذي ينشأ عنه علم يجب الى الانسان الجنة و يحثه على اعمال الخير التي تؤدي به الى الجنة و يصير المطيع له ناقصاً و يدخل بعد الموت في راحة الجنة و عقل الكامل هو عقل الروح الذي ينشأ عنه علم يجعل الانسان يجب التوحيد و يحرضه بالاعمال التي تؤدي به الى معرفة الحق و يصير المطيع له كاملاً و يدخل بعد الموت في راحة وصف الربوبية .

٣- الايمان أصوله وفروعه :

رأى بايزيد ان الايمان يزداد من حيث العمل مستدلاً بقوله تعالى : ” و يزداد الذين آمنوا ايماناً “ . و اما اصل الايمان فلا يزداد و لا ينقص بل هو كلمة الشهادة : ” اشهد ألا اله الا الله و اشهد ان محمداً عبده و رسوله “ . و قال : ” وفرع الايمان البناء الخمس وهي الصلوة و الصوم و الزكاة و الحج و الغسل عن الجنابة “ .

شبهه بايزيد الايمان بالجسم الانساني و اثبت له صفات حسية و معنوية مثل الرأس النفس القلب العظمة اللبالب الشجرة الاوراق الضيق النور الظلمة و الحكم كما بين الايمان الشرائط و الفرائض و الواجبات .

وقال : ” و الايمان على خمسة انواع : الايمان المعصوم كان للأنبياء و المقبول للمؤمنين و الموقوف للمنافقين و المتبوع للصبيان و المردود للكافرين “ .^{٣١}

١- المدثر ٤ : ٣١ .

٢- مقصود المؤمنين ص ٢٨ .

٣- مقصود المؤمنين ، ص ٣٣ .

ورأى بايزيد ان الايمان لا يستقيم الا باستقامة القلب و اللسان والعمل كما قال عليه السلام : ”لا يستقيم ايمان احدكم حتى يستقيم قلبه حتى ولا يستقيم قلبه يستقيم لسانه ولا يستقيم لسانه حتى يستقيم عمله“ .

٤- الخوف والعقوبة :

أكد بايزيد ان العذاب والصراط والميزان والشفاعة والجنة واللقا والساعة حق . ورأى انه يجب على الخائف من الله تعالى ان يجتهد في معرفة الحق حتى يعرف العالم الكبير والعالم الصغير . والعالم الصغير في نظره هو صورة الانسان التي تجمع فيها كل ما يوجد في العالم الكبير مستدلا لذلك بقوله تعالى : ”سنريهم آياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق“^٢ . واثبت للانسان جميع ما في العالم الكبير وقد ذهب في تفصيل ذلك الى حد يلفت النظر .

وقسم الموت الى الحقيقي والمعنوي فالموت عنده هو موت بلا قصد واختيار . اما الموت المعنوي فهو موت بالقصد والاختيار بان يموت اعضاءه بالاصناف المذمومة و بعدم التجنب عن النواهي وعدم الخوف من القهار فهو يرى ان من موت نفسه بالاصناف المذمومة فكانما قتل الناس جميعا ومن احيها بطاعة الله وبذكره وفكره وبالاصناف المحمودة فكانما احيا الناس جميعا . واستدل لذلك بقوله تعالى : ”من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا ومن احيها فكانما احيا الناس جميعا“ .

٥- الرجاء والرحمة :

رأى بايزيد انه يجب على المومنين ان يكون بين الخوف

١- احياء علوم الدين : ج ٣ ، ص ٩٤ .

٢- السجدة ٤١ : ٥٣ .

والرجاء و الا يقنط من رحمة الله بسبب المعصية ولو عمل كل المعصية بمفرده . ذلك ان القنوط من رحمة الله اشد ضررا من المعصية نفسها قال : ”ان العجب والكبر والقنوط و سوء الخلق كان من سنة الشيطان . والحلم والتواضع والندامة والملامة والتوبة والرجاء الى رحمة الله كان من سنة آدم عليه السلام“ .

ذكر قصة خلق آدم وعدم رغبة الملائكة في خلقه وامتناع ابليس عن السجدة واخراج آدم و حواء من الجنة بسبب وسوسة الشيطان . أكد عداوة الشيطان لآدم و عداوة ورثة الشيطان لاولادهم . ورأى ان ورثة الشيطان هم الذين يصدون الناس من معرفة الله و من شهود الخالق و من الامور الحسنة وهم يظهرون في صور مختلفة كالأخبار والرهبان والشيوخ الناقصين الذين يحسبون انفسهم مهتدين و مقبولي الدعاء .

و رأى ان الهداية الحق لا تحصل الا عن طريق الانبياء او عن ورثة الانبياء وهم المشايخ الكاملون . فلا بد لطالب الحق من المرشد الكامل الذى يهدى الى معرفة الحق والصراط المستقيم و علم التوحيد عن طريق القرآن .

و رأى ان ابن آدم مخير في العمل فهو باختيار عمل الشيطان وصفته يصير شيطانا و باختيار عمل الانبياء وصفته يصير كاملا و مرشدا و باختيار الايمان وعمله يصير مؤمنا .

٦- النفس و عداوتها :

النفس فى نظر بايزيد عدو حاضر لا يفارق العبد و هى أمانة بالسوء والعصيان لا توافق الحق ولا تطلب الربانية ابدا فعليه ان يعرفها

والا يغفل عنها وان يحسبها عن هواها وغايتها كما قال الله تعالى : ”واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الهاوى“١ .

قسم بايزيد النفس الى اربعة اقسام و هي : النفس الامارة ، النفس اللوامة ، النفس الملهمة ، والنفس المطمئنة . اما النفس الامارة عنده فهي عالم الشيطان الذى يامر الانسان بالعصيان والظلم والخسران كقوله تعالى : ”وما ابرىء نفسى ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي“٢ ، واللوامة هي عالم حزب الشيطان . وهم اولاد الخناس الذين يوسوسون في قلوب الناس كقوله تعالى : ”قل اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس“٣ ، وهم في نظره الذين يتظاهرون بالزهد والتقوى بسبب النسب والعلم واللباس الدلق ويزعمون للناس انهم زهاد ورعون و ان دعاءهم مقبولة عندالله وانهم يقدرون ان يصيبوا الضرر او المنفعة الى الناس بسبب دعائهم و انهم ياكلون اموال الناس بالباطل وبالحيل وبالمكائد كقوله تعالى : ”ياايها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار و الرهبان لياكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله“٤ .

والنفس الملهمة هي عالم الملكوت الذى يامر الانسان بالطاعة و عبادة الحق بالاخلاص و يمنعه من متابعة هوى النفس والشيطان كقوله تعالى : ”لايعصون الله ما امرهم و يفعلون ما يؤمرون“٥ .

والنفس المطمئنة هي عالم الروح الذى يامر الانسان بطلب الله

-
- ١- النازعات ٧٩ : ٤١ .
 - ٢- يوسف ١٢ : ٥٣ .
 - ٣- الناس ١١٤ : ١ - ٦ .
 - ٤- التوبة ٩ : ٣٤ .
 - ٥- التحريم ٦٦ : ٦ .

و معرفة ذاته تعالى .

٧- الشيطان وكيدته :

ذكر بايزيد الشيطان وكيدته وضلالته و عداوته و حربته ورأى ان الخلاص من كيد الشيطان هو بالتقوى والنصيحة والفكر في الله والحلم والصمت والصبر ، فعلى المؤمن ان يتسلح بهذه الامور لمحاربة الشيطان وكيدته .

٨- القلب و خصاله :

ذكر ان حضرة النبوة و الخلافة و الدعوة و الهداية في الانسان قلبه الداعى والهادى وضع فيه موضع النبى و الرسول . فمن يطع القلب فقد اطاع الرسول ومن يطع الرسول فقد اطاع الله .

قسم القلوب الى سبعة انواع وهى : القلب الميت و القلب المريض و القلب الغافل و القلب الخائف و القلب المنيب و القلب الشهيد و القلب السليم . فالقلب الميت للكافر كقوله تعالى : ” فانك لا تسمع الموقى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين ” . و القلب المريض للمنافق كقوله تعالى : ” فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ” . و القلب الغافل للعاصى كقوله تعالى : ” ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون ” . و القلب الخائف للمتنقى كقوله تعالى : ” و من يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب ” .

١- النمل ٢٧ : ٨ .

٢- الشعراء ٢٦ : ٨٩ .

٣- الاعراف ٧ : ١٧٩ .

٤- الحج ٢٢ : ٣٣ .

والقلب المنيب للذاكر كقوله تعالى : ”الذين آمنوا و تطمئن قلوبهم
بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب“^١. و القلب الشهيد للعارف
كقوله تعالى : ”ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع
وهو شهيد“^٢. و القلب السليم للمخلص كقوله تعالى : ”يوم لا ينفع
مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم“^٣. وقد ذكر للقلوب
خصائص اخرى .

٩- الروح و لطافته و راحتة :

قسم الروح الى ثلاثة انواع : الروح الجارى ، الروح المقيم ، الروح
الامين . و رأى ان الروح الجارى يخرج وقت النفس و الروح المقيم
يخرج وقت الموت واما الروح الامين فهو الروح المصاحب يكون
مع صاحبه دائماً .

و ذكر الروح باعتبار وجوده في الاشياء اربعة اصناف و هى :
الناطق الصامت الجسمى الاسمى . فالناطق للانسان و الصامت للحيوان
و الجسمى للاشجار و الاسمى للجادات . و قال ان مقام الروح هو
جميع البدن و هو كالدهن في اللبن و الرائحة في الورد ولكن مكانه
الرفيع هو فوق الرأس .

١- الدنيا و متاعها و اصولها و فروعها :

رأى بايزيد ان الانقطاع من الدنيا الى معرفة الحق خير ، لانها
دارالبلاء والآفة و الفتنة و لانها دارالفناء و الزوال مع ما فيها .
عمرانها يخرب و سكانها يموتون كقوله تعالى : ”وما الحياة الدنيا

١- الرعد ١٣ : ٢٨ .

٢- ق ٥٠ : ٣٧ .

٣- الشعراء ٢٦ : ٨٩ .

الالعب و لهو^١“.

و قال ان اصول الدنيا اربعة يتولد من كل اصل شرور كثيرة و آفات قبيحة فالاول منها الهوى يتولد منها الضلالة و الكبر و الاعراض عن الحق و الثانى منها الحرص يتولد منه طول الامل و الاصرار على المعاصى و قساوة القلب و الثالث منها الشهوة يتولد منها الغفلة و الوقاحة و سوء الادب و الرابع منها الطمع يتولد منه الحسد و البخل و سوء الخلق . فمن اراد ان يعرف الدنيا فليعرفها بهذه الخصال و من اراد ان يزهد فى الدنيا فليزهد فى هذه الخصال .

١١- الآخرة و بقاؤها و نعيمها :

ذكر بايزيد انه ليس للدنيا بقاء و ليس للآخرة فناء فاعمل للدنيا على قدر بقائها و قدر مقامك فيها و اعمل للآخرة على قدر بقائها و دوامك عليها . كقوله تعالى : ”و ابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنسى نصيبك من الدنيا و احسن كما احسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الارض . ان الله لا يحب المفسدين^٢“ .

و قال ان الحصول على دار الآخرة هو بالصبر و الصلاة . و بانفاق المال و بترك السيئات و باختيار الحسنات . كقوله تعالى : ”والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم و اقاموا الصلاة و انفقوا مما رزقناهم سرا و علانية و يدرعون بالحسنة السيئة . اولئك لهم عقبى الدار^٣“ .

رأى بايزيد انه لا تحصل العباداة الا بدفع العوارض . لان العوارض مانعة من العباداة و الذكر و معرفة التوحيد . و العوارض فى

١- الانعام ٦ : ٣٢ .

٢- القصص ٢٨ : ٧٧ .

٣- الرعد ١٣ : ٢٢ .

نظرة هي : محبة الدنيا ، و محبة الخلق ، و محبة هوى النفس ، و محبة متابعة الشيطان .

و رأى انه لا تدفع هذه العوارض الا بمحبة الآخرة و الزهد و القناعة و بالعزلة و الانقطاع عن الناس و بالحرب مع الشيطان بتوفيق الله تعالى . و قال ان الطالب - و ان كان صادقا و عاقلا - لا يصير مأمونا عن شر النفس ولا عن كيد الشيطان ابدا بل يمكن نجاته عن طريق التوحيد و عن طريق خوف زوال الايمان . و قال ان التوكل عمل مهم من اعمال الدين و هو اجتناب عن الطمع و عن الحرام و منه يكون بداية الاعمال الصالحة .

و رأى ان المومن الكامل هو الذى يومن بوعد الله و يسكن قلبه بضمانته و يوقن بان الله لا يخلف وعده دون اى اضطراب اما من لم يذهب عن قلبه الاضطراب فلا يحصل فيه اعتماد على الحق .

١٢- التوبة و الاجتناب عن النواهي :

فسر بايزيد التوبة بطريقته الخاصة و قال ان اصل التوبة هو رجوع كل تائب الى عبادة الله و الى رحمة ربه . لان كل عاص هو هارب من امر ربه فاذا تاب رجع من هربه الى امر ربه ولكن التوبة اذا نسبت الى الله تعالى كان معناها ان الله تعالى رجع الى عبده برحمته .

رأى بايزيد ان التوبة لا تقبل الا بان يترك العبد الاعمال السيئة بعدها و اما الذين يعاهدون الله بالقول ثم ينتقضون توبتهم و عهدهم فلا هم تائبون ولا هم وارعون كما قال الله تعالى : "الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون" .

ورأى ان كل طالب اذا اراد التوبة فليتب على يد شيخ كامل و ليعاهده و ليبايعه و ليعمل بمتابعته . لان العهد و البيعة مع الشيخ الكامل كالعهد و البيعة مع النبي و العهد و البيعة مع النبي كالعهد و البيعة مع الله كقوله تعالى : ”ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه و من اوفى بما عاهد عليه الله فستؤتيه اجرا عظيماً“ .

قسم بايزيد العلم الى ثلاثة اقسام و هى : العلم الظاهرى و العلم الباطنى و العلم بين الله و عبده . فالعلم الظاهرى—و هو علم الشريعة— يحصل من صاحب العلم الظاهرى و هو الاستاذ . و العلم الباطنى يحصل من صاحب العلم الباطنى و هو المرشد الكامل . اما العلم بين الله و عبده فلا يجوز ان يقال او يكتب .

حذر بايزيد الناس من متابعة المرشد الناقص و رأى ان متابعة المرشد الكامل كمتابعة النبي و متابعة المرشد الناقص كمتابعة الشيطان لان دعوة الشيخ الكامل الى دارالسلام و الى الذكر و الى الرؤية و الى السماع و الى الوصال و الى التوحيد و اما دعوة الشيخ الناقص فهى الى الكفر و الى المعصية و الى الغفلة و الى العمى و الى الصم و الى الانفصال و الشرك . و الكامل عنده خير من الاخيار و الناقص شر من الاشرار .

٤١- الشريعة :

رأى بايزيد ان اتباع الشريعة والاوامر و النواهي و البناء الخمس ضرورى و استدل لذلك بقوله تعالى . جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون^٢ . والشريعة

١- النساء ٤ : ١٨ -

٢- الجاثية ٤٥ : ١٨ -

عنده عبارة عن البناء الخمس و هي : الكلمة الطيبة ، الصلاة ، الزكاة ، الصوم ، الحج .

رأى بايزيد ان الواجب الاول على العبد هو قول الكلمة الطيبة و فهم معناها ثم يجب عليه غسل اللسان من الكلام السيئ و القيام بالفرائض الاخرى . و حذر المومنين من اخلاق المنافقين و نصحهم بقول الصدق لانه ينفع المومنين كقوله تعالى : ”يوم ينفع الصادقين صدقهم“^١ .

رأى بايزيد انه لا بد من حضور القلب في الصلوة مستدلاً بقول النبي عليه السلام ”لا صلوة الا بحضور القلب“^٢ .

وقال ”ينبغي لاهل الشريعة الا يتركوا علم الشريعة و عملها حتى يتم ايمانهم“^٣ . وقال ايضاً : ”الشريعة مثل جلد الشجر و الشجر بغير الجلد يصير يابسا و يهلك ثمرة“^٤ .

رأى بايزيد ان الاستقامة و الدوام على الشريعة واجب على المومنين و قال : ”اما بعد الاستقامة في الشريعة فينبغي لاهل الشريعة الا يتركوا علم الشريعة و عملها و الا يسكنوا فيها دائماً و ان يرفعوا اقدامهم الى الطريقة حتى لا يصيروا محجوبين عن علم الطريقة و عالمها و عملها و ان يطلبوها بالصدق حتى يروا و يجدوا و يعرفوا علم الطريقة و عالمها و عملها“^٥ .

١- البائدة ٧ : ١١٨ .

٢- مروى بالمعنى في احياء علوم الدين ، كتاب اسرار الصلوة ، ج ١ ،

ص ١٥١ .

٣- مقصود المومنين ، ص ١٤٣ .

٤- مقصود المومنين ، ص ١٤٤ .

٥- مقصود المومنين ، ص ١٤٥ .

و الشريعة عنده مقام يجب على السالك الاحتفاظ على البناء
الخمس و اتباع اقوال و افعال الانبياء و قول الصادق و التجنب عن
الكذب و الفحش و ضبط اللسان .

١٥- الطريقة :

رأى بايزيد ان معرفة الطريقة و الاستقامة عليها واجبة على
السالك و من اتبع الطريق المستقيم سيجزى لا محالة كقوله تعالى :
”و ان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا لنفتنم فيه“^١ . وقال :
”اما علم الطريقة فكان علم القلب و عالم الطريقة هو عالم الملكوت
و عمل الطريقة هو متابعة عالم الملكوت في العمل“^٢ . و رأى ان
هناك عالمين : عالم حزب الملائكة و عالم حزب الشيطان و سبيل
عالم حزب الملائكة الى القلب بالجانب الايمن و سبيل عالم حزب
الشيطان الى القلب بالجانب الايسر . يدخل فيه حزب الملائكة ليذكر
الانسان بالثواب و الطاعة و الصفات المحمودة . اما حزب الشيطان فهو
يدخل في القلب لاجل وسوسة الشيطان و يذكره باعمال السوء و
يمنعه من الاعمال الحسنة و الطاعة و الصفات المحمودة . حذر بايزيد
المؤمنين من صحبة حزب الشيطان و حرضهم بصحبة حزب الملائكة .

قال بايزيد : ”ينبغي لاهل الطريقة الا يتركوا علم الطريقة و
عملها و الا يسكنوا فيه ابدا و ان يرفعوا اقدامهم الى الحقيقة ليضموا
علم الحقيقة و عملها الى علم الطريقة و عملها اي ان يضموا الى تزكية
الجسد و تصفية القلب حتى لا يصيروا مجبوبين عن علم الحقيقة و
عملها“^٣ . و الطريقة عنده مقام يجب على السالك ان يترك فيه هوى

١- الجن ٧٢ : ١٥-١٦ -

٢- مقصود المؤمنين ، ص ١٤٤ -

٣- مقصود المؤمنين ، ص ١٥٥ -

النفس و ان يقوم بتزكية الجسد و ان يضم الى الفرائض و النوافل .

١٦- الحقيقة :

فسر بايزيد الحقيقة و الذكر و اليقين و تصفية القلب و رأى ان علم الحقيقة يتعلق بالروح و عالم الحقيقة هو عالم الجبروت و عالم الجبروت في نظره هو عالم الروح . و الواجب على السالك في مقام الحقيقة ان يكون على علم من معرفة التوحيد و ان يدعوا الناس الى المعرفة كقوله تعالى : ” واتبع سبيل من اناب الى الله ” . اما علم الحقيقة عنده فهو الذكر الخفى في القلب بالنفس و هو ان يدخل و يخرج كل نفس بذكر الله كقوله تعالى : ” يا اولى الالباب الذين آمنوا قد انزل الله اليكم ذكرا ٢ ” .

رأى ان الانسان مأمور بالذكر الخفى كقوله تعالى : ” ادعوا اليكم تضرعا و خيفة انه لا يحب المعتدين ٣ ” . و كقوله تعالى : ” واذكر ربك في نفسك تضرعا و خيفة و دون الجهر من القول بالغد و الاصل و لا تكن من الغافلين ٤ ” .

و النجاة في نظره من الظلمات بالتضرع و بالذكر الخفى كقوله تعالى : ” قل من ينجيكم من ظلمات البر و البحر تدعونه تضرعا و خفية ٥ ” .

قسم بايزيد الذكر الى ذكر اللسان و القلب و الروح و السر و الغيب و غيب الغيب و هذا الاخير في نظره هو الاسم الاعظم . و رأى

-
- ١- لقمان ٣١ : ١٥ .
 - ٢- الطلاق ٦٥ : ١٠ .
 - ٣- الاعراف ٨ : ٥٥ .
 - ٤- الاعراف ٨ : ٢٠٥ .
 - ٥- الانعام ٦ : ٦٣ .

انه يجب على المومنين ان يجمعوا بين علم الحقيقة و علم المعرفة حتى لا يصيروا محجوبين عن الله تعالى . والحقيقة عنده مقام يجب على السالك فيه ان يترك الشكوك و ان يصفى القلب و ان يصل فيه الى اليقين المحكم .

١٤- المعرفة :

تحدث بايزيد عن المعرفة و عمل المعرفة و تجلية الروح و رأى ان علم المعرفة هو علم يتعلق بذات الله تعالى و هو علم لدنى من عند الله يحصل صاحبه على درجات رفيعة كقوله تعالى : ”والذين اوتوا العلم درجات“^١ و كقوله تعالى : ”فوجدنا عبدا من عبادنا آتيناها رحمة من عندنا و علمناه من لدنا علما“^٢ . و رأى بايزيد ان عالم المعرفة هو عالم العارفين و عمل المعرفة هو رؤية ذات الله تعالى بعين القلب في كل جهة بلا مثل كقوله تعالى : ”ليس كمثله شئ“ و هو السميع البصير^٣ . كما رأى ان ذات الله موجود مع كل كائن لا يفارقه ابدا فيجب على العارف ان يرى بعين القلب ذات الله في كل مخلوق و كائن و قال : ”فينبغي للعارف الواجد ان يرى بعين القلب مع كل مخلوق ذات الخالق و مع كل عابد ذات المعبود و مع كل مرزوق و مع ذات الرازق و مع كل مربوب ذات الرب و مع كل عدد ذات الاحد . و يحصل العارف الواجد كل علم من علم الله و كل قوة من قوة الله . و كل جميل من جمال الله و كل جليل من جلال الله . اما اذا رأى العارف مع المخلوقات ذات الله تعالى فينبغى له الا يصيب المضرة على المخلوقات بغير حق لاجل رضاء الله تعالى“^٤ .

١- المجادلة ٥٨ : ١٢ .

٢- الكهف ١٨ : ٦٥ .

٣- الشورى ٤٢ : ١١ .

٤- مقصود المومنين ، ص ١٧٧ .

والمعرفة عنده مقام يرى السالك فيه بعين القلب ذاته تعالى في كل شئ^١ ويتجنب هوى النفس والحرص والشهوة والطمع .

١٨- تحدث بايزيد عن القربة و الكشف والسماح و فرحته و رأى ان الله قريب من عباده كقوله تعالى : ”ونحن اقرب اليه من حبل الوريد“^١ . واما علم القربة عنده فهو علم الاصوات و عالم القربة هو عالم المقربين والسامعين وعمل القربة هو معرفة الاصوات و ادراك تسبيحها . وقال : ”ينبغي للمقربين ان يحسبوا بالصدق ان كل صوت من تسبيح الله وان كان بعض الاصوات من الغضب و البعض الاخر من رحمة الله لان الغضب والرحمة كانا متحدين عند ذات الله“^٢ . وقال : ”انه لا يبدأ الصوت عن الشئ^٣ بغير الحركة ولا يتحرك الشئ^٤ بغير القوة وكل قوة من قوة الله فكل صوت يقول تسبيح الله ولا يدركه غير اهل القربة كقوله تعالى : ”انهم عن السمع لمعزولون“^٣ . والقربة عنده مقام يسمع السالك فيه صوت الحق فقط ويتلذذ بسماعه .

١٩- الوصلة :

ذكر بايزيد الانصاري الوصل و ذكر القرين و وصاله و رأى ان علم الوصلة هو علم وصال الله تعالى و عمله هو كل عمل يتعلق بذات الله و يترك الوجود و رأى ان الذات الخفية تتجلى و تبرز بصورة الروح بصفة المحبوب و ليس للمحب في طور المحبة اثر و لا خبر . لان المحب في حكم المحبوب محو ليس له اختيار سوى اختيار المحبوب فهو لا يتكلم الا باختياره و لا يمشى الا بارادته و لا يضحك الا باختياره و لا يبكي

١- ق ٥٠ : ١٦ .

٢- مقصود المومنين ، ص ١٨٢ .

٣- يونس : ١٠ : ٢٦ .

الا بارادته بل انه لا يتحرك ولايسكن باختيار نفسه كقوله تعالى :
 الا الى الله تصير الامور^١ . وكقوله تعالى : ”قل ان الامر كله
 لله تعالى يخفون في انفسهم ما لايبدون لك^٢“ .

و قال : ”يرى الواصلون ذات الله بعين الله كما قيل : رأيت ربى
 بعين ربي و يعرفون ذات الله بذات الله كما قيل : عرفت ربي بربي و
 يسمعون صوت الله باذن الله ويذكرون ذات الله بالذكر الذي يذكرون
 فيه ان الموجودات واحدة مع ذات المعبود ويقولون الكلام الحق
 بفهم الله و يعملون كل عمل يتعلق بترك الوجود و بذات المعبود حتى
 انهم يرون علامة هذه الآية في وجودهم^٣“ : ”كل شئ هالك الا
 وجهه^٤“ .

و رأى بايزيد انه يجب على السالك ان يتقدم في مراحل السلوك
 كما يجب عليه المحافظة على المراحل السابقة . والوصلة عنده مقام يترك
 فيه السالك صفاته فلايرى ولايسمع ولايتحرك ولا يمشى الا بارادته
 تعالى ولا يقع نظره الا على ذاته تعالى .

٢- الوحدة :

تحدث بايزيد عن معرفة الوحدة و اسرارها ورأى ان علم الوحدة
 هو علم التوحيد و عالم الوحدة هو عالم اللاهوت و عمل الوحدة
 هو ان يذكر كل موحد وجوده بذكر الاسم الاعظم كالمذكور لا كالذاكر .
 اما الاسم الاعظم فهو جاسع الاسماء يهلك به الشرك و وصف

١- الشورى ٤٢ : ٥٣ .

٢- آل عمران ٣ : ١٥٤ .

٣- مقصود المومنين ، ص ١٨٧ .

٤- القصص ٢٨ : ٨٨ .

البشرية و يحصل به علم التوحيد و وصف الربوبية ولا يجوز ان يقوله بالجهر .

و رأى ان الموحد لا يشرك وجوده مع ذات المعبود مخافة الشرك مستدلا بقوله عليه السلام : ”من رأى نفسه فقد اشرك^١“ و كقوله تعالى : ”انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة و ماواه النار و ما للظالمين من انصار^٢“ و كقوله تعالى : ”فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين^٣“ .

رأى بايزيد ان الانسان اذا وصل الى مقام المعرفة فلا يشعر بنفسه بل يرى ذات الله فقط و يغيب عن نظره جميع الكائنات بل انه يترك صفة العابد و يتخذ صفة المعبود و يقول بعد ذلك كلام الصدق و كلام التوحيد و يتجنب كلام الكذب و الشرك و رأى ان الانبياء و المخلصين كانوا متحدين مع الله ولم يكونوا متفرقين عنه .

و الوحدة عنده مقام ينسى السالك فيه وجوده و يترك الاوصاف البشرية و يتخذ الاوصاف الربوبية و يغيب عن نظره جميع الكائنات حتى نفسه .

٢١- السكونة :

تحدث بايزيد عن السكونة و فضيلتها و راحتها و رأى ان علم السكونة هو سكونة الله . و عالم السكونة هو عالم المساكين و عمل السكونة هو ان يسكن روحه في سكونة الله و ان يزداد فيه وصف الربوبية و ان يزول عنه وصف البشرية و ان يتخلق باخلاق الله تعالى

١- لم اجده في الصحاح .

٢- المائدة ٥ : ٧٢ .

٣- الشعراء ٢٦ : ٢٣١ .

و ان يسكن عن طلب شىء فان و الا يريد بقاء أكثر من بقاء الله .
و مالا و ملكا أكثر من ماله و ملكه . ولا علما و قوة و قدرة ازيد من
علمه و قوته و قدرته و الا يتمنى عزة و سلطانا افضل من عزته و سلطانه .

و رأى ان مقام السكونة ارفع درجة من درجات السلوك الصوفى
حيث ان الانبياء ارادوا درجة امة محمد عليه السلام درجة المساكين
كقوله عليه السلام : ”اللهم احينى مسكينا و امتنى مسكينا واحشرنى
فى زمرة المساكين“ .

و رأى ان المسكين يصير مستقيما ظاهرا و باطنا . اى ظاهرا
بالجسد و باطنا بالروح حتى انه يصير العالم الكامل و صاحب علم
الشرعية و الطريقة و الحقيقة و المعرفة و القربة و الوصلة و الوحدة و السكونة
كقوله تعالى : ”قل كل يعمل على شاكلته“ .

و رأى انه يوجد فى بدن ابن آدم اربعة عوالم مختلفة و هى :
عالم النفس و عالم الشيطان و عالم القلب و عالم الروح و بين لكل
واحد منها خصائصه .



١- رواه الترمذى و ابن ماجة ، راجع احياء علوم الدين ، ج ٤ ،

ص ١٨٩ .

٢- بنى اسرائيل ١٧ : ٨٤ .